مجلة الحقيقة للعلوم الاجتماعية والانسانية
EL - HAKIKA (the Truth)
Journal for Social and Human Sciences

المجلد: 23 / العدد: 02 / السنة:2024 ص ص:82-97

أنثروبولوجيا الموت بين الوفاة والقتل

The anthropology of death between decease and homicide

جنيدي عبد الرحمان

جامعة أحمد زبانة غليزان (الجزائر)، abderrahman.djenaidi@univ-relizane.dz

تاريخ الاستلام: 2023/ 03/20 تاريخ القبول: 2024 /05/18 تاريخ النشر: 2024 /06/30

ملخص: يعتبر الموت من المواضيع التي تتقاطع فيها الكثير من فروع المعرفة: الأنثروبولوجيا والطب، القانون وعلم الاجتماع والنفس واللاهوت، والأساطير. وقد أسهمت الأنثروبولوجية. بدراسة مكونات الأنساق الثقافية للمجتمعات الإنسانية لصياغة معاني وتمثلات الموت.

وفي هذا البحث نطلع على مفهوم أنثروبولوجية الموت كمفهوم جامع مانع لمفهومي الوفاة والقتل معا، وتأثيرات كل منهما على مختلف الأبعاد الثقافية. وفق مقاربة "رؤي العالم" وصولا الى بعض النتائج مفادها مدى تحكم ظاهرة الموت بقطبيها الوفاة والقتل في تشكيل ثقافة الحياة. فموت (الوفاة) ساهم في صناعة كل جوانب الوقاية والحماية وابتكار كل ما من شأنه أن يحقق الرفاهية للإنسانية ويعيد تشكيل العلاقات الاجتماعية على أساس من التراحم. بينما الموت عن طريق(القتل) يبعث على العداء والانتقام والنزاع والحرب وهو ما دفع الإنسانية الى توفر كل ما من سبيله أن يحقق الأمن والأمان.

كلمات مفتاحية: الأنثروبولوجية؛ الموت؛ الوفاة؛ القتل؛ الطقوس.

Abstract:

Death is one of the subjects where many branches of knowledge intersect: anthropology and medicine, law and sociology, psychology, theology and mythology. Anthropology has contributed to this.

By studying the components of the cultural models of human societies to formulate the meanings and representations of death. In this article, we examine the concept of anthropology of death as a global concept that prevents the concepts of death and murder together, and the effects of each on different cultural dimensions. According to the "World Visions" approach, certain results are achieved depending on the extent to which the phenomenon of death controls the two poles of death and murder in the formation of the culture of life. Death contributed to the creation of all aspects of prevention

and protection and to the creation of everything that would achieve the well-being of humanity and reshape social relations on the basis of compassion. While death by (killing) inspires hostility, revenge, conflict and war, which prompted humanity to provide everything that can ensure safety and security.

Keywords: Anthropology; Death; Decease; Murder; Ritual.

مقدمة:

الحقيقة الثابتة في هذه الدنيا هي الموت، وليس الحياة إلا شيء عارض. وكل سعى الإنسانية على طول تاريخها لم يكن إلا أشكال من النضال الدائم والمستمر من أجل البقاء. فالفلسفة الأقوى التي تحكم تفكير الانسان في هذا الوجود هي فلسفة الموت، فالموت هو من يحكم الحياة وليس العكس. فالموت هو من يصنع ثقافة الحياة في صراع الانسان مع الطبيعة. وكأنما الموت هو من يحدد نوعية وكيفية العيش سلفا. بينما الحياة هي من تصنع ثقافة الموت حينما يتقاتل الانسان مع أخيه الأنسان. فالثقافة في الذات الاجتماعية الواحدة مشدودة بين طرفين طرف ثقافة الوفاة التي يمليها ويفرضها الموت الطبيعي. وبين الطرف الأخر لثقافة التي يخلفها الموت بين الناس في حال الحرب والقتل.

أن حتمية الموت مشتركة بين كل بنى البشر على اختلاف ثقافات الشعوب فهم لا يختلفون فيها من حيث انتماء موضوعها الى عالم الأنطولوجيا. ويبقى موضوع تجربتها لا يعرف مذاقه وطعمه إلا الأموات. وإنما موضوع الاختلاف في الموت يكمن في موضوع الثقافة المحيطة بها، والمتمثلة في كل طقوس الموت (بداية من سماع خبر الموت الى تجهيز الميت (الغسل والكفن) وصلاة الجنازة الى التشييع والدفن والعزاء والحداد). كل هذه الطقوس تعمل على تحويل الموت من كونه ظاهرة بيولوجية الى ظاهرة اجتماعية أنثروبولوجية تنتمي في تفسيرها وفهمها الى عالم الابستمولوجيا. أن التنقيب في قصة الحياة على ظهر هذه الأرض هو ذاته الوجه الأخر للحفر في قصة الموت. "إن تاريخ الموت هو تاريخ لتأمل الذات. من نحن؟ من أين نأتي، وإلى أين نذهب بعد الموت؟" (**الهاشمي، 2014، صفحة 19**). والإجابات المختلفة لهذه الأسئلة الوجودية هي من تشكل وتصنع تنوع وتباين ثقافات الشعوب. فالحياة والموت ليسوا في الحقيقة وجهان متقابلان لعملة واحدة كما يقال. وإنما هما امتداد

بين الأجيال في عالم الشهادة في تصور أولئك الذين يعتقدون بأنّ الموت عَدَمٌ مُطْلَق (وفي هذا النطاق بالضبط ينضوي كل الملاحدة والفلاسفة الماديين) أما في اعتقاد أصحاب الأديان السماوية فإن الموت يعتبر استمرار في عالم الآخرة بمفهوم عالم الغيب. فليس الموت إلا برزخ وقنطرة بين عالمي الشهادة والأخرة، فالأصل عند المؤمنين باليوم الآخر هو الحياة الأبدية والخلود وليس الموت إلا استثناء برزخي يمس الأجساد ولا يخص النفوس.

وقد اعتمدنا في هذا البحث على مدخل "رؤى العالم" كمنطلق نظري للدراسة، ومقاربة منهجية تمثل: (مجموعة من المعتقدات والنظرات الكونية المتناسقة حول الكون والإنسان بل وحول الوجود بصورة عامة). وعلى ضوء هذا المعنى، يمكن أن يعتبر النظام العقائدي والاصولي لكل دين هو رؤيته الشاملة." (**اليزدي، 2008، صفحة 35**). وتعالج نظرية "رؤى العالم،" في مضمونها الديني مشكلة المعنى التي تتعلق بالوجود ومعنى خبرات الاحباط والفشل ولألم التي يختبرها الإنسان في حياته مثل فراق الأهل وموت الأحباب والأصدقاء. وفي هذا الصدد أشار "ماكس فيبر" الى أن رؤى العالم لها تأثير كبير في الحياة الداخلية لفرد كما أنها تؤثر على علاقته الخارجية بالعالم. فالأشياء والأحداث اتحدث يوميا مظاهر ورموز العالم أخر فلا يمكن إدراك العالم الخفي إلا من خلال الرموز المشخصة (**حافظ، 1993، الصفحات 3–8**). مفهوم رؤية العالم أو ما يصطلح عليه أحيانا بالرؤية الكونية، يقوم على الوعي بـ؛ موقع الرؤية، إنه (العالم كما يبدو –العالم في ذاته) كما قال **إمانويل كنت** 1804. وهو (تفسير العالم والتفاعل معه،) كما أضاف الألماني **ديلتاي** 1911 هذا باعتبار أن الرؤية تتضمن (أصلا ومعرفة). الوقوف عند الصورة الكلية تلك التي يتخذها المرء عبر موجهين الذاتي والموضوعي، عن الذات والعالم. وسؤال هذه الورقة البحثية: هو كيف ساهم الموت في صناعة ثقافة الحياة؟ وبمفهوم العكسي لسؤال لولا الموت كيف كانت ستكون الحياة؟ والجواب الفلسفي انه لولا الموت لما كانت الحياة أصلا فهما متلازمتان بالطبيعة الوجود. وعليه فإن هذه الورقة البحثية تحاول إلقاء الضوء على الموت كظاهرة تنخرط فيها كل جوانب وابعاد الثقافة في إطارها الأنثروبولوجي. الأنثروبولوجية البيولوجية والنفسية والاقتصادية والثقافية والسياسية.

1. مفهوم الموت

1.1 الموت لغة

الميم والواو والتاء أصل صحيح، يدل على ذهاب القوة من الشيء، منه الموت: خلاف الحياة" (**فارس، صفحة 283/5**) ولمفهوم الموت ألفاظ مترادفة لمفهوم الموت عند العرب والحتف، والمنون، والسام، والردى، والثكل، والوفاة، والهلاك.

2.1 الموت اصطلاحًا

للموت تعريفات عدة تدور كلها حول معنى زوال الحياة، فهو صفة وجودية خلقت ضدًا للحياة. وقيل الموت: انقطاع تعلق النفس بالبدن ومفارقته وحيلولة بينهما، وتبدل حال، وانتقال من دار إلى دار وقيل الموت: مفارقة النفس للجسد. كما شغلت ظاهرة الموت علماء الأحياء أو البيولوجيا. فقد عرف «بيشا «الحياة بأنها «مجموعة الوظائف التي تقاوم" (**الخالق، 1987، صفحة 14**)

ويعرّف الموت علميّا بأنّه توقّف الكائنات الحيّة نهائيا عن القيام بأيّ نشاط وظيفي حيوي كالتنفّس والأكل والشرب والحركة والتفكير ويمكن تمييز تعريفين طبّيين له: الموت السّريري وهو حالة الانعدام الفجائي لدوران الدّم في الأوعية الدّموية مع الانقطاع التّام عن التنفّس إلى جانب غياب الوعي والموت الدّماغي أو البيولوجي وهو حالة انعدام وظائف الجهاز العصبي (الدّماغ وجذعه والنّخاع الشّوكي) بشكل كامل ونهائي. أمّا التّعريف الدّيني للموت فهو خروج النفس من الجسد للانتقال إلى حياة أخرى في مختلف الثّقافات. كما أن تحديد لحظة الوفاة تكتسي أهمية كبيرة و بالغة سواء من الناحية الطبية أو القانونية، أو الدينية إذ بتحديد "لحظة الوفاة يمكن البث في مدى مشروعية رفع أجهزة الإنعاش، أو استمرارها عن المريض الذي توقف قلبه أو رئتاه أو مخه عن العمل " (**طه 2001، 14**) "توقف العمليات الحيوية في جسم الإنسان، والمرتكزة في القلب والتنفس، بمجرد توقف القلب والرئتين عن العمل يصاب المخ هو بالآخر بصورة تلقائية بالتوقف خلال بضع دقائق " (**طه، 2001، صفحة 28**) .

2. مفهوم الوفاة

الوفاة لغة: جاء في كتب اللغة أن التوفية: الوفاة والمنية والموت، وتوفي فلانًا، وتوفاه الله، إذا قبض نفسه" (**منظور بلا تاريخ**) الوفاة، فهي توقف كامل الوظائف والأعضاء في جسم الإنسان بشكل مؤقت أو دائم" (**العطار، صفحة 5**). الوفاة اصطلاحًا: الوفاة معناها: الموت، وأن أصله من توفية الشيء إذا أخذه كله.

3.مفهوم القتل

1.3 القتل لغة: أصل مادة (قتل) تدل على إذلالٍ وإماتةٍ. وهما معنيان متقاربان" ويقال: قتله يقتله قتلًا وتقتالًا، ورجلٌ قتيل: مقتول، وامرأة قتيل: مقتولة، وقتل فلان فلانًا أي: أماته") **منظور بلا تاريخ، ٥٤٧/١١**(. وعرفه المناوي بقوله: «القتل: أصله إزالة الروح كالموت، لكن إذا اعتبر بفعل المتولي له، يقال قتل، وإذا اعتبر بفوات الحياة يقال موت"

4. العلاقة بين الوفاة والقتل

الوفاة لا تستعمل إلا في الإنسان فقط، أما القتل فيستعمل في الإنسان وفي غيره من الكائنات الحية. والقتل ينسب للقاتل، والوفاة لا تنسب إلا إلى الله تعالى، فيقال: «فلان قتل فلانًا»، ولا يقال: «فلان توفى فلانًا والصلة بين القتل والموت: الموت ينفي الحياة مع سلامة البنية، ولا بد في القتل من انتقاض البنية،" (**العسكري، صفحة 104**) وعن الفرق بين الموت والوفاة يقول محمد الشعراوي في تفسيره ن الموت والقتل يؤدي كل منهما إلى انتهاء الحياة، لكن القتل ينهي الحياة بنقض وهدم بنية الجسد ولذلك يقدر البعض من البشر على البشر فيقتلون بعضهم بعضاً. فالموت هو ما يجريه الله على عباده من سلب للحياة بنزع النفس. إذن: القتل إنما هو إخلال بمقومات الحياة التي أرادها الله لوجود النفس فى مادة الجسد، كسلامة المخ والقلب وغيرها. حينما تصبح البنية لا تصلح لسكنها. إذن الموت وفاة وقتل وفاة طبيعة تحدث في صراع بنية الجسد مع الطبيعة وقتل كجريمة تحدث بالعدوان على الجسد، بين بنى الأنسان. ففي الأول تغادر النفس أولا قبل هلاك الجسد وفي الثانية يهلك الجسد قبل خروج النفس. ومنها أنّ الموت هو للكائنات جميعها

بينما الوفاة للثقلين وحدهما من إنس وجان دون غيرهما؛ لأنّها لا تقع إلّا على من هو مكلف عاقل مسؤول." (**حقي، 2000، صفحة 347**)

5.مفهوم الطقوس

تعود أصول مفهوم الطقوس الى الكلمة اليونانية "taksis" والتي تعني نظام أو ترتيب، فهي سلوكيات أو ممارسات ثقافية توفر تعبير عن المشاعر القوية لتضامن الجماعة وتعرف فالطقوس تعد بمثابة أعمال رمزية معبرة عن البنية الاجتماعية" (**Valeri.V, 2017, p. 51**) وترتبط الطقوس بالْمَسِيحِيّينَ : نِظَامُ العِبَادَاتِ الدّينِيَّةِ وَأَشْكالِها، شَعائِرُهَا وَاحْتِفَالاَتُهَا والطقوس "مجموعة السلوكيات والأفعال والأقوال التي يقوم بها الإنسان بصفة متكررة يتفق عليها المجتمع، ذات علاقة بالدين والسحر والمعتقد الاجتماعي يحدد العرف الاجتماعي دوافعها وأغراضها" (**زغب، 2015، صفحة 23**) وتنظيم الطقوس عادة ما يكون في مكان مقدس، مثل الكنيسة والمعابد و المساجد لإضفاء الطابع الرسمي على الطقوس.كما تكون طقوس الاحتفالات ببداية عام جديد أو ولادة طفل حفل زفاف أو موت أو يوم مغفرة. وتتميز الطقوس بالموسيقى والرقص أو طعام خاص أو ملابس خاصة لاستخدامها. "

ولقد ثبت، بالاستناد إلى مجموعة من الوثائق التاريخية، أن الطقس اتخذ شكل عرض في الحضارات القديمة المصرية والآشورية البابلية. ففي بابل، كانت تمثّل، في عيد رأس السنة المسمى "**اكيتو**" قصيدة الخلق الملحمية ذات الطابع الأسطوري والكوني. وكانت هناك احتفالات أخرى صيغت طقوسها بشكل تمثيليات." (**فيتو، 1979، صفحة 12**). وعموما ترتبط الطقوس بتوقعات الوضع البشري في علاقاته مع الروحي والمقدس" (**طوالي، 1988، صفحة 38**).أن الطقوس تحمل وظائف رمزية ظاهرة واجتماعية تضامنية خفية "إن المشاركة في الاعتقادات والممارسات بواسطة جماعة اجتماعية تعتبر شيئا أساسا في أي دين، وعندما تأخذ هذه المشاركة مكانها في شكل جماعة تحتفظ الاعتقادات والممارسات بحيويتها. وهذه الجماعة تحتفظ بشعيرة طوطمية وليس المهم نوع أو شكل الشعيرة ولكن المهم هو المشاركة، " (**بيومي، 2010، صفحة 303**)

6. ثقافة طقوس الموت

1.6 ثقافة الموت

الموت هو الحقيقة التي تنحل ولا ترفع من الوجود الإنساني والتي تفصل الى الأبد بني ما هو إنساني وما هو إلهي فهو تذكرة دائما بان مخلوقات ولسنا خالقين" (**كارس ج.، 1998، صفحة 223**) لذلك يعتبر السومريون والكنعانيون طائر النار المسمى بطائر الفنيق العنقاء رمزاً للبعث والعودة للحياة. ويحتفل الكنعانيون كل عام في الربيع بعيد عودة **دوموزي** للحياة، (وهو تموز الإله الميت الحي وأسطورة العشق الأبدي). حيث تتزامن عودته مع مواعيد الزراعة عندهم، فأصبح عيد عودته رمزاً لانبعاث الزرع وعودة العشب الأخضر إلى الحياة من بعد الموت، رمزاً للخصوبة والتناسل والتجدد، واستعملوا البيض كرمز لقيامة تمّوز، حيث يخرج الكتكوت (الصوص) من البيضة، بمثل ما يخرج الزرع من الأرض وتخرج الحياة من القبر، ويُقال إنّ بعض الديانات السماوية تعلمت هذه الطقوس وتناقلتها فيما بينها.أما موقف الأديان السماوية من الموت، فالديانة اليهودية، ينظر فيها العهد القديم إلى الموت على أنه النهاية الطبيعية للحياة، وأن الموت هو القدر المشترك للناس جميعاً. والموت في العهد القديم ارتبط بخطيئة آدم عندما خالف وصايا الآلهة وأكل ثمر الشجرة المحرمة فخسر الخلود واستحق الموت. " (**رحال، 2022، صفحة 22**)

أما الموت في الدين الإسلامي" فهو ليس ذلك المجهول الذي يبث الخوف والرهبة في النفوس القادر ولكنه قضاء الله وحكمته في أن يعيش الإنسان عمرا زائلا في الدنيا ثم يعيش عمرا خالدا في الآخرة: «وأنا لنحن نحى ونميت ونحن الوارثون» (الحجر-٢٣.(واليوم الآخر أصل قوي من أصول الدين الإسلامي لذا اهتم القرآن الكريم بالموت. وكما إن للحياة حكمة كذلك فإن للموت حكمة وغاية وتكتمل الحكمتان في اختبار الإنسان وامتحانه في حياة أخرى باقية: «تبارك الذي بيده الملك وهو على كل شيء قدير الذي خلق الموت والحياة ليبلوكم أيكم أحسن عملا وهو العزيز الغفور» سورة الملك-١ —" (**الخالق، 1987، صفحة 14**). أن الإنسان قد يكون لديه أمل في التوصل إلى حل مشكلاته يوما ما أو بطريقة معينة. اما الموت فليس كمثله شيء إنه مرض الأمراض الذي لا شفاء منه أبدا ولا علاج ناجحا له مطلقا." (**الخالق، 1987، صفحة 12**) ولذلك توفّر الرؤى اللاهوتية بشكل عام للموت سبيلاً من أوسع سبل المقاربة، وذلك إلى حد كبير لأن الأديان

قد وفَّرت الوسيلة الرئيسية للتعامل مع الموت في المجتمعات البشرية" (**الهاشمي، 2014، صفحة 37**). ومحاولة بعث أمل الحياة من جديد فالأمل هو بمثابة الإيمان أو حتى الإيمان نفسه.

2.6 طقوس الموت

يعد الموت أحد الطقوس التي تتجلى فيها العادات الشعبية بشكل واضح، فهي تعبير عنً مخطط ثقافي ومجموعة من القيم والمثاليات التي ينقلها الآباء والأجداد ويتعلمها الفرد باعتباره عضو في الجماعة أو لمجتمع. فعندما يموت شخص تستجيب العائلة والأصدقاء، حيث تحدد الثقافة الكيفية التي يتم بها التعامل مع جسد المتوف، وفترة الحداد المناسبة" (**السيد، 2018، صفحة 68**) وتختلف مراسيم الجنائز في مختلف ثقافات شعوب العالم بحسب مكانة الميت وطبقته الاجتماعية وطبيعة موته (وفاة طبيعية، اغتيال) وتكون لهذه الجنازة او تلك تداعيات وانعكاسات تبقى لعقود من الزمن ربما تصحبها تصفيت حسابات وانتقامات خاصة اذا كانت شخصية الميت تحمل رمزية وقدسية في مجتمعه. وليس بعيد من هذا فكرة الثأر في الجاهلية الأولى قبل الإسلام أو حتى عند الصاعدة في صعيد مصر الي يوم الناس هذا.

ففي مزيج من ثقافات غرب إفريقيا والفرنسية والأفريقية الأمريكية، تحتفل بعض الأسر بالدفن عن طريق موسيقى الجاز. يتم دفن المتوفى من أعضاء المجتمع المقربين. ثم يقود المعزين في مسيرة من قبل فرقة جاز. تبدأ الموسيقى بالحزن مع الترانيم، ثم تصبح أكثر بهجة عندما يتم دفن الجسد ويتم سرد قصص المتوفى. عندما يقول المشيعون وداعهم الأخير، يُقال إن الجسد "قد انقطع" ويبدأ المشاركون في الرقص احتفالًا علنيًا بحياة من تحب. ويعتقد الهندوس البالیون أن جسم الإنسان يتكون من الجسد الروحي والجسدي. عندما يموت شخص ما، لا يكون جسده المادي أكثر، بل الجزء الروحي من الإنسان يحيا. عندما تحرق النار الجسد، تتحرر الروح أخيرًا. حيث يتم حرق الجثة ويتم تكسير العظام بشكل منفصل. ثم يبحر رماد المحبوب على طول النهر أو البحر.

أن تقديس الموت ينبع من تقديس الحياة ذاتها، فليس هناك شيء في هذا الوجود يحكم العلاقة بين قداسة الحياة والموت مثلما يحكمها الدين. "إن محاولات التعبير عن جوهر الشعور الديني الذي يمكن القول عنه أن لا يوصف هي رمزية و يظل العالم غير المرئي والمتمثل في المقدس غير المرئي

حيا في عقول وقلوب المؤمنين به تتدخل هنا الرمزية بوظيفتها والتي من شأنها تحقيق هذا الإحياء، حيث أن الرموز لها قوة استجلاب المشاعر ومن ثم فهي تعتبر نتيجة لتاريخها المشترك مع المقدس وتعد واحدة من القوى المؤثرة أو المثيرة للمشاعر الإنسانية، ولهذا فليس من الغريب أن نفهم أن المشاركة في رمز شائع هي طريقة فعالية لتقوية وحدة جماعة المؤمنين لهذا المقدس." (**بيومي، 2010، صفحة 302**)

من مظاهر التنكر للموت المصطلح الشائع "إنكار الموت" لا نريد أن نعترف بأن الموت يمكن أن يحدث وهو أقرب مما نتخيل. لذلك تعتبر الجثة تذكير قاس بهذا، لذلك يتخلص منه بسرعة. في كل الثقافات. يتم التعجيل بقبر الميت. ان ما نعرفه في البيت والمدارس وحتى من أئمة المساجد عن الموت في كل الثقافات يتم تعليم الموت على أنه موضوع مخيف ومرعب، يجب أن نتجاهله ونتجاوزه بالسرعة الدفن في ظل الثقافة الاجتماعية المعاصرة والتي تقوم بالتركيز على الفردانية كنمط حياة حداثي. فقد تغيرت طقوس الموت أيضًا. فقد كانت في السابق وفاة شخص ما بمثابة خسارة فادحة للشبكات الاجتماعية ككل؛ ليس فقط دائرة الأسرة الحميمة. واليوم لا أحد يهتم لموت أحد، فحتى شعور الموت مات في الأنسان وكأنه لا حدث. والحقيقة أن طقوس الموت تأثيرها على الأحياء وليس على الأموات. وإن تنوعت طقوس الدفن بين مختلف الشعوب والثقافات فإن الموت واحد فلكل نصيبه القبر، فالتكريم الأموات دفنهم. ويبقى عزاء الأحياء في الأمل في الحياة.

7. الأبعاد الأنثروبولوجية لثقافة الموت

في محتوى ومضمون كل ثقافة هناك دين ومعتقدات توجه سلوكيات وأعمال أفرادها. فالموت مفهوم مركز ي في تشكيل كل ثقافات الشعوب. فالموت ليس مجرد موت فالموت الطبيعي بالمرض وبالكوارث '(الوفاة) غير موت ساحات المعارك والحروب (القتل). والتي يلقب صاحبها بالمجاهد وموته يرفعه الى مقام الشهداء. والحقيقة أن موت الشهادة كله مرتبط بالحرية والشرف والكرامة وهذه كلها قيم إنسانية تحيا بموت الانسان من أجل أخيه الانسان. فمن يعطى ويمنح القداسة للموت هو الثقافة وليس الطبيعة فحسب. فالثقافة هي من ترفع من شأن وقيمة النفس الإنسانية. والموت في سبيل الوطن من أعلى القيم الإنسانية والتي جعلت من كل ثقافات الشعوب تمجد أبطالها وتخلد ذكرهم. وكأنما قيمة الموت تتجاوز وتفوق قيمة الحياة لتصنع الحياة من جديد. ووفقا للأنثروبولوجية

المعاصرة فإن ''الأديان'' حتى في أكثر أشكالها بدائية وأولية، تسهم في بلورة أنساق رمزية تقدم لمعتنقيها تصورا أو رؤية عن العالم، وعن موقع الأفراد والجماعات فيه، وعن علاقاتهم الاجتماعية **(عبادي، 2015)**.".

في مجال الأنثروبولوجية يبقى المحور الرئيسي لكلّ الدراسات هو الحقل الثقافي والذي ترتكز عليه باقية الأبعاد الاجتماعية. والثقافة كلها تتشكل من الدلالات الرمزية التي تعكسها خصوصية تلك المعاني التي يريد شعبا ما أضفاها على ظواهر ومظاهر الحياة والموت. وإذا كانت الأنثروبولوجية هي توليد المعاني وإعادة انتاجها بين الأجيال. فإن لحظة وساعة الموت تعتبر نهاية المعنى. فالمعنى يعيش بين الأحياء ولا يقبر مع الأموات. على حد قول أبيقور: إذا كان بوسعنا نحن مَعشر البَشر، أنْ نَنْعَم بالأمان في سياق ارتباطنا بالعديد من الأمور، فإننا مع الموت، نُقِيم في مدينة بلا أسوار'' فكل البشر منذورٌ للموت بِطبْعه، فالموت يُهدِّدُك مِن كلّ حدب وصوب. ولا معنى للصراع والمقاومة والاستمرار في البقاء، فالحقيقة أنْ الكل مُجبرا على الموت في آخر المطاف. وطالما أنّ فكرة الموت قد تفيدُنا كثيرا، سواء من حيث تعاطينا مع الحياة برضا، جراء الأمل على أنّ الموت هو ما يبدو في كِلتا الحالتين حُجَّة، تدفعنا إلى الحِرص كُلِّيا على عدم تضييع أية لحظة من لحظات الحياة. إذا كُنتَ ترْغبُ في كسْبِ المِقْدُرَة على تَحمُّل الحياة، فعليك أن تَكُون مُستعدا لقُبُول الموت وإذا أرَدتَ أنْ تُحِبّ الحياة، ورَغبتَ في تثمينها بكل جلاء، فلا تنسى بأنَّ الموت جزء لا يتجزأ منها". **(Comte, 2000، pp. 51-58)**

لا يمكن أن نمتلك احصائيات توضح عبر تاريخ البشرية السحيق، ما إذا كان عدد الأموات بالقتل أكثر أم عدد الأموات بشكل طبيعي (وفيات). ومع ذلك نفترض في موضوعنا هذا أن عدد الأموات عبر التاريخ كان مناصفة بين القتل والوفاة. وفي هذا الصدد يمكننا القول بأن محاولات تفسير الموت بين القتل والوفاة عند مختلف شعوب العالم ساهمت في تشكيل ثقافة الحياة بصور مختلفة وجوانب متعددة نذكر منها:

1.7 البعد البيولوجي للموت

تعرف الأنثروبولوجيا العضوية (الطبيعية أو الفيزيقية) بأنه: العلم الذي يدرس الجنس البشري منذ نشأته، ومن ثمّ مراحله الأولية وتطوّره، من خلال ما تدلّ عليه الحفريات والآثار المكتشفة. أي أنّه يتناول بالبحث نوعنا البشري واتجاهات تطوّره، ولا سيّما ما كان منها متّصلاً بالنواحي التي تكشفها الأحافير. " (**رالف، 1967، صفحة 17**). ففي ميدان الأنثروبولوجية العضوية تهتم الحفريات البشرية بدارسة تطور الجنس البشري منذ بدايته، ومن ثم مراحله الأولية وتطوره، من خلال ما تدلّ عليه الحفريات والآثار المكتشفة وليس هذا في الحقيقة إلا بحث في عالم أجسام الأموات من الناحية الفيزيولوجية (البيولوجية). فالأموات حاضرون بطريقة ما في الدرس الأنثربولوجي الحيوي.

2.7 البعد المرضى للموت

اهتمت الدراسات الأنثروبولوجية الكلاسيكية بالأجناس البشرية المختلفة على أساس العرق. بينما الأنثربولوجية المعاصرة اهتمت بفروق بيولوجية دقيقة. كالفروق بين أنواع الدم وبين الأجهزة العضلية وغيرها. ومع بداية الستينات من القرن العشرين، سار علماء الأجسام شوطاً أبعد من ذلك، إذ بدأوا يدرسون الفوارق بين الفئات المختلفة من حيث سرعة النمو، وسنّ النضوج الجنسي، ومدى المناعة ضد الأمراض." (**رالف، 1967، صفحة 19**) وهذه البحوث والدراسات جاءت في إطار البحث عن الشفاء والدواء والتعافي من الأمراض وكل هذا في الحقيقة هو نوع من قلق وخوف الموت. فقد كان ولايزال من هموم الأنسان أفراد ومجتمعات منذ فجر التاريخ العلاج والوقاية من الأمراض، فالأنثروبولوجيا الطبية بحثت عن العلاج من الأمراض بداية من محاولة جبر العظام إذا كسرت وتطبيب الجراح الي أن اكتشف الإنسان اللقاح لكثير من الأمراض المعدية التي فتكت بالبشرية مثل الكوليرا والتيفويد الى أن وصلت البشرية الى بناء المستشفيات العالمية بشراكة دولية عابرة للجغرافيا القطرية والتداوي بالأشعة والليزر والمنظار. فالتاريخ المرض تزامن مع أنثروبولوجية الصحة من أجل البقاء على قيد الحياة والهرب من الموت.

3.7 البعد الاقتصادي للموت

أما في مجال الأنثربولوجية الاقتصادية فأن الخوف من الموتى جوعا، هو ما جعل الانسان منذ بداية وجوده على الأرض يزرع ويستصلح من أجل تأمين الغذاء. وكثير من الأموات في المعارك والحروب عبر التاريخ كان أساسها الغذاء وموارد الطاقة وهي كذلك الى يوم الناس هذا. كما أن الخوف من البرد والحر هو من جعل الأنسان يبحث عن الملبس الذي يحميه والمسكن الذي يأويه. كما أن قد يكون للأموات تركات مالية ومكاسب ينتفع بها من سيرثهم. وبالمناسبة أيضا أصبح من الناحية المادية الحديث في الثقافة الغربية الحديثة عن " تكلفة الجنازة؟ بفرض رسوم على الجثة. وهذا التفكير هو ما أثر على الطقوس التي تحيط بالميت في الغرب. ففي تقرير أجرته الرابطة الوطنية لمديري الجنازات في عام 2019 أظهرت النتائج أن تكاليف الجنازة في أمريكا ارتفعت بنسبة 227٪ على مدار الثلاثين عامًا الماضية. **(htt8)**

4.7 البعد السياسي للموت

أما عن علاقة الأنثروبولوجية السياسية بالموت. فإن مفهوم سلطة الحياة والموت هو عبارة عن السلطة السياسية والاجتماعية التي يحكم أصحابها على بعض الناس بالحياة، والبعض الآخر بالموت، كما وصفها عالم السياسة الكاميرون **يأشيل مبيمبي**. فإنه من المفروض أنها أينما توجد وتحل يزول وينعدم العنف فالسياسة في الأصل أنها تسعى الى السلام والحفاظ عن حياة الانسان ونبذ العنف والقتل. أن مفهوم التضحية والبطولة تهوين من ألم الموت. فالخوف والبحث عن الأمن هو من يصنع ثقافة الحياة. والسياسة تقتل وتسمح بالعيش في حدود السيادة. "أن تمارس السيادة يعني ممارسة السيطرة على الوفيات، وأن تحدد الحياة بوصفها نشر السلطة ومظاهرها. يمكن للمرء أن يلخص المصطلحات المذكورة أعلاه فيما يعنيه ميشيل فوكو بالسلطة الحياتية: مجال الحياة الذي سيطرت عليه السلطة " (**Foucaut, 1976, pp. 34-213**). "سياسة العرق مرتبطة في نهاية المطاف بسياسة الموت وبمصطلحات فوكو، فإن العنصرية، قبل كل شيء، هي تقنية تهدف إلى السماح بممارسة «السلطة الحياتية»، و«الحق السيادي القديم بالموت. وفي اقتصاد السياسات

الحياتية، فإن وظيفة العنصرية هي تنظيم توزيع الموت وتمكين الدولة من وظيفة القتل. هي، كما يقول، «شرط القبول بالقتل" (**Foucaut، 1976، الصفحات 214–228**)

5.7 البعد السيكولوجي

إذا كانت الأنثربولوجية اللغوية تهتم بكيفية تطور وتبادل معاني البيان اللساني، فإن الموت. يعتبر لحظة صمت وسكوت عن الكلام تسقط وتتلاشى معه كل العبارات. فالموت لغة مشتركة بين كل الثقافات يحل فيها الحزن محل الكلام كسيمة نفسية طبيعية سيكولوجية مشتركة بين كل بنى البشر. كما ورد في خاتمة كتاب "الموت والوجود" **لجامس م، كارس** "ما دمنا أننا لا نستطيع أن نجرب الموت مباشرة فإننا نتعرف على الموت من خلال انفعالاتنا من موت الآخرين. ندرك حينها أننا كلنا عارضين للموت، فنحن لا ننتمى تماما الى انفسنا بل إننا أشخاص ترتبط بالآخرين " (**كارس ج.، 1997، صفحة 606**). وهكذا الحزن وقلق من الموت لا يعيشهم الميت بل الأحياء من حوله. فالموت يؤكد دائما على أننا لا ننتمي تماما الى أنفسنا. فنحن نعتمد على الآخرين في وجودنا. فتجربة موت الآخرين من حولنا عادة ما يعيدنا الى مراجعة أنفسنا وكأننا نفس واحدة. وعلى المستوى السيكولوجي الوفاة تنتج الحزن بينما القتل يصنع العرب وعلى المستوى الاجتماعي الوفاة يتبعها الرضي بينما القتل تأتى معه فكرة الثأر والانتقام. ومهما تكن الدوافع الاجتماعية والدينية المفسرة للنشاط الطقسي يوجد دائما دافع واحد نفسي له الغلبة، وهنا يشير **اريك فروم** أن طقس الموت في نهاية المطاف ما هو إلا تعبير رمزي عن الأفكار والمشاعر بواسطة الفعل" (**طوالي، 1988، صفحة 41**)

6.7 البعد القيمي والأخلاقي للموت

لعل الحياة الحقيقة تمكن في الاستعداد للموت وعلى حد تعبير الفيلسوف والرؤى الروسي **الكونت ليف نيكولا يافيتش تولستوي**. صاحب كتاب " الحرب والسلام. " (1865 – 1869) الشخص الذي لديه فكرة عن خاطئة عن الحياة ستكون لديه دوما فكرة خاطئة عن الموت". أما "**مالينوفسكي**" فقد ركز على مشكلة الموت وعلاقتها بالمجتمع، تحديد الفقد الاجتماعي للتماسكً ا جزئيً حيث انصب تركيزه على الكيفية التي من خلالها يشكل موت شخص تدمري

الاجتماعي إلى أن يتم استعادة التوازن أو تشكيل توازن جديد. فشعائر الموت من وجهة نظره هي تعبيرات جمعية عن الشعور الملائم لذلك الموقف، يظهر خلالها الأفراد التزاماتهم تجاه بعضهم البعض وتجاه المجتمع الذي يعيشون فيه " (**السيد، 2018، صفحة 34**)الموت يعيد ترتيب الكرامة فينا. وإلا فإن عيش المهانة يسقط عليه قول **عدي ابن الرعلاء:** ليس الميت من مات فاستراح بميتة إنما الميت ميت الأحياء. فهناك من يعيش مهزومًا وذليلًا ويموت في كل يوم مرات عديدة. فمن يخف الموت يخسر الحياة. والحب كمل قيل يتحمل الموت والبعد أكثر مما يتحمل الشك والخيانة. هكذا تتجلى العلاقة بين الموت وبين ما هو أخلاقي قيمي. فالموت هو من نظم القيم على طول التاريخ الإنسان. حتى في عالم الأفلام السينمائية. الموت دائما ما يكون حلقة مفصلية في كل أشكال الدراما، ونهاية محتومة لقوى الشر في كل السناريوهات. إن الحب كشعور نفسي نبيل يشكل قصة جميلة مؤلفها الموت نفسه وليس الحب فقط بل كل العواطف والمخاوف والآمال وشطحات الخيال والفكر والفن والأخلاق. كل هذه القيم العظيمة تدين للموت بوجودها. وهكذا كل الأخلاق الموت في مضمونها. الشجاعة قيمتها في أنها تتحدى الموت. والإصرار قيمته في أنه يواجه الموت. وهكذا كل مثل أخلاقي، قوته في أنه يواجه مقاومة و هو ينهار وينهار مضمونه حينما لا تكون هناك مقاومة في مواجهته." (**محمود، 2000، صفحة 10**)

خاتمة:

أن البعد المقاصدي الجوهري من الشرائع السماوية هو حفظ النوع الإنساني بكل ابعاده البيولوجية والنفسية والمادية والعقلية والأخلاقية. وبهذا يكون الدين المركز والنواة التي تدور على رحاها كل مناحي الثقافة. ان من يضفي المعنى على الفعل أو العمل أو السلوك هو الموت، بالمعنى البرزخي كونه مرحلة عبور وقنطرة بين عالم الشهادة وعالم الغيب وهذه المعاني تتجسد كرموز وتصبح محل وموضوع لمختلف الدراسات الأنثروبولوجية، ففي النهاية الانسان يحي ويموت من اجل المعنى. المعنى الذي تسقط معه اعتبارات الجسد في كثير من الأحيان. ويظل الموت غامض مهما حاولنا استكشافه. وتظلُّ النظرة المعاصرة للموت هي نفسها نظرة القدماء، لا اختلاف بين النظرتين. وتبقى مسائل ما بعد الموت تنتمي الى عالم الإيمان وليس إلى عالم المعرفة العلمية. ولغز الحياة يكمن في

فكرة واحدة أن تطلب الموت فتوهب لك الحياة. هكذا تصورت الشعوب القديمة شرف الحياة. على عكس المجتمعات الحديثة التي كرهت الموت. فعاشت في مستنقع الطغيان والقتل والأجرام والكراهية والقهر والأنانية. ان ثقافة الموت هي من تصنع ملحمة الحياة. حتى في الثقافة الشعبية يقال: (عيش نهار ديك ولا تعش عام دجاجة) أنها كرامة وشرف العيش. وكفى بالموت واعظاً يقوم السلوكيات والأفعال. فالموت هو من يجعل الأفراد والجماعات تراجع حسابتها على المستوى الأخلاق. وبالذات ترتيب سلم القيم الإنسانية في حياة الناس.

قائمة المراجع:

André Comte. (2000). Presentations de la Philosophie,. S.A: ed, Albin Michel

https://metro.co.uk/2017/10/08/new-orleans-jazz-funerals-where-life-is-celebrated-through-the-joy-of-music-6965499/. (بلا تاريخ).

McHill. (2015).

.Michel Foucaut. (1976). Il faut défendre la société. france: genral edtion

.Valeri.V. (2017).). Classic Concepts in Anthropology. Hau Books

ابن فارس. مقاييس اللغة.

ابن منظور. لسان العرب.

أحلام رحال. هاجس البعث: الموت والقيامة في الحضارات الإنسانية. تم الاسترداد من https://ahlam002.wordpress.com

أحمد زغب. (2015). الفلكلور: النظرية والمنهج والتطبيق. الجزائر: دار هومة.

أحمد عبادي. (29 12، 2015). القرآن الكريم ورؤية العالم. تم الاسترداد من https://www.arrabita.ma/blog/%D8%A7%D9%84%D9%82%D8

أحمد محمد عبد الخالق. (1987). *قلق الموت*. الكويت: عالم المعرفة.

إسماعيل حقي. (بلا تاريخ). *روح البيان*.

الأسود السيد حافظ. (1993). *تصور رؤية العالم في الدراسات الأنثروبولوجية*. . القاهرة: المركز القومي لبحوث الاجتماعية والجنائية.

العسكري. (بلا تاريخ). *الفروق اللغوية*.

انولفي فيتو. (1979). تاريخ المسرح. دمشق: منشورات وزارة الثقافة والإرشاد القومي.

بشر أديب العطار. (بلا تاريخ). *تطور* مفهوم إعلان الوفاة.

جامس كارس. (1997). *الموت* والوجود دراسة لتصورات الفناء الإنساني، في التراث الديني . القاهرة: المجلس الأعلى للثقافة.

جيمس كارس. (1998). الموت والوجود. القاهرة: المجلس الأعلى للثقافة.

دوغلاس ديقيس، تر: محمود منقذ الهاشمي. (2014). *الوجيز في تاريخ الموت*. سوريا: دار الثقافة.

فارس السيد. (2018). *النموذج الثقافي للموت والخلود الرمزي: تحليل أنثروبولوجي نفسي*. الإمارات: معهد الشارقة للتراث.

لينتون، رالف. (1967). *الأنثروبولوجيا وأزمة العالم الحديث*. بيروت: المكتبة العصرية.

محمد أحمد بيومي. (2010). *علم الاجتماع الديني*. القاهرة: دار المعرفة الجامعية.

محمد تقي مصباح اليزدي. (2008). *دروس في العقيدة الأسلامية*. بيروت: دار الرسول الأكرم .

محمود أحمد طه. (2001). *المسؤولية الجنائية في تحديد لحظة الوفاة*. الرياض: مركز الدراسات والبحوث.

مصطفى محمود. (2000). *لغز الموت*. القاهرة: دار المعارف.

نور الدين طوالي. (1988). *الدين والطقوس والتغيرات*. بيروت: عويدات للنشر والطباعة.